

تجارة الكارم منذ أواخر القرن السابع الهجري حتى التاسع منه / الثالث عشر الميلادي حتى الرابع عشر في بلدان الشرق الأوسط

الأستاذ المساعد الدكتور

ناجح جميل آل صافي

الكلية الإسلامية الجامعة - النجف الأشرف

Najeh.alsafi@yahoo.com

ظهرت اصطلاحات (الكارم، تجار الكارم، الكارمية)^(١) منذ الربع الأخير من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، على إنهم مجموعة من تجار شبه القارة الهندية، الذين كانوا يشكلون أكبر قوة مالية في عصر المماليك في مصر وبلاد الشام، وكانت مصر تمثل المركز الرئيسي لهؤلاء التجار الذين أطلق عليهم اسم "الكارمية" كما كانت لهم قاعدة ينطلقون منها إلى بلدان البحر المتوسط، كما كانت لهم قواعد أخرى في اليمن وحضرموت لاستقبال البضائع والسلع التي سميت "الكارم" إلى شرق افريقية والهند وبلاد أواسط آسيا وهي مراكز للتوزيع التجاري الرئيسي.

لقد نوّهت المصادر المتوافرة إلى تفصيلات عن حياة هؤلاء التجار، وعائلاتهم وارتباطاتهم الأسرية، فقد كان هؤلاء يكونون جماعات شديدة الارتباط مع بعضهم البعض، مشفوعة بروابط المصاهرة والقرابة^(٢) ويبدو أن المماليك في مصر، بدأوا يحتسبون لهؤلاء التجار الأغنياء، فاتجهوا إلى نزع ثرواتهم وأملاكهم المالية والعقارية، لئلا تتكون لديهم القوة والنفوذ السياسي عن طريق التدمير المنظم لبيوتاتهم التجارية، بفرض ضرائب ومكوسات باهضة أو السعي إلى مصادرة ما تبقى منها بصورة مباشرة وكان هذا هو الاتجاه العام في سياسة المماليك، حتى وإن اختلف الحال من سلطان لآخر منهم.

أما عن أصل الكارم، فالكلمة لا تعني اسماً صحيحاً ولكنه اسماً عاماً هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه توجد كلمة "كاريام" وهي من لغة التامل بجنوب الهند وهي تحمل معنى "الأعمال" أو "الاشغال" ولما كانت أعمال الشرق الرئيسية مع ساحل الهند الشرقي هي أعمال تجارية، فلا بد أن يكون ذلك الاسم قد أطلق على ملاك السفن والتجار والمترددة إلى هذه البلاد^(٣).

ويبدو أن المعلومات عن مادة "الكارم" التي تضمن بها المصادر في الوقت الحاضر جعلت هناك عزوفاً عن القيام بدراسات وبحوث، شاملة وموضوعية، ففي الربع الأول من القرن التاسع عشر، ظهرت أولى المحاولات، لإجراء دراسة عنها، معتمدة على كتب طبقات عصر المماليك، وبعد قرن كامل من هذا التاريخ، نشر و.ج. فيشيل دراسته، مركزاً على التاريخ الاقتصادي للعالم الإسلامي في العصر الوسيط، ملمحاً عن الكارم وتجار الكارم والكارمية، بدون تقديم تفصيلات ضافية عن هذه المصطلحات التي واجهته في الدراسة^(٤)، ولكن لم يلبث النصف الثاني من القرن العشرين على الانتهاء حتى ظهرت ثلاث دراسات موسعة تحدثت عن جماعة الكارمية^(٥) وقد تمت هذه الدراسات وغيرها^(٦) بأزمان مختلفة وبطريقة متفرقة^(٧) كما أشار كارل هـ. بيكر، الذي وضع دراسة وافية عن تاريخ مصر الاقتصادي إلى مصطلح الكارم^(٨) وكذلك تحدث عن الكارم في كتابه^(٩).

ولعل من أهم المصادر التي أتاحت لنا الاطلاع على معلومات عن هؤلاء التجار وتجاراتهم ونشاطاتهم الاقتصادية والمالية، هي ما عرف في العصر الحديث "جنيزة القاهرة"^(١٠) التي توزعت محتوياتها في مختلف أنحاء العالم وأغلب هذه الوثائق والخطابات والرسائل والحجج تتصل بالتجارة والسفر بين جهات البحر المتوسط والمحيط الهندي، خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، بيد أنه من المهم أن نطلعنا هذه الوثائق بالكارم بصورة صريحة أو من طرف خفي.

وأشارت الجنيزة إلى أن أول وثيقتين عن الكارم، كانتا تتعلقان بتاجر ونوخذاه^(١١) من مدينة عدن^(١٢)، يعرف باسم "محروس بن يعقوب"^(١٣) فقد كانت عدن المركز الرئيسي لنشاط هذا التاجر، وكان يتخذ طريق عدن - مانجالور الهند وهو طريق السفن التجارية التي كانت تسير ما بين عدن وموانئ الساحل الهندي.

وكان في أحيان أخرى يركب سفناً غير سفنه الخاصة به وبخاصة مراكب مضمون وهو أحد وكلاء تجار عدن، الذي كان في الوقت نفسه رئيساً ليهود اليمن، كما كانت أخت محروس بن يعقوب، زوجة لأبي ذكرى كوهين وكيل التجار اليهود في مدينة القاهرة، وهو سليل عائلة لها فروعها في العراق وفلسطين والمغرب، وأحياناً نجد محروساً هذا في القاهرة، يقوم بتصرف أمور تجارة الكارم ورعاية متطلبات عائلته،

في الوقت الذي يكون فيه صهره أبو ذكرى كوهين خارج مصر (وغالباً ما يكون في الهند مما يستدعي مثوله هناك لاغراض تجارية كارمية)^(١٤) وفيما كان أخوه الأصغر، مسافراً إلى الاسكندرية ليشرف على شحن بضائع كارمية ذاهبة إلى مدينة المهديّة^(١٥) بتونس^(١٦).

وهكذا يمكن أن نفهم بعض الاشارات عن الكارم وتجارة الكارم، فيما ورد من أخبار التاجر محروس بن يعقوب، وكذلك فيما جاء في خطاب كتبه هذا التاجر في عدن، في اليوم نفسه الذي كان مقلعاً فيه إلى الهند، وحينما عاد بعد أيام قليلة من هذه البلاد، عشر على قطع أوراق في الجنيزة، تشير إلى ارسال هدايا مختلفة أو بضائع و سلع، مع تاجر مسافر من عدن إلى القاهرة، وأنه اشترى للمرسل إليه ستين مناً من الطباشير^(١٧) الذي سلّم إلى مضمون وكيل التجار في عدن لينفذها في الكارم مع من يرى^(١٨).

ومن المحتمل أن تكون لفظة الكارم هنا، هو مجموعة التجار الذين لديهم بضائع موصى بها يشكلون قافلة واحدة برية أو سفناً مملوكة لهؤلاء التجار، تسير من عدن إلى القاهرة أو بالعكس^(١٩).

كما عثر على قطعة ورق، فيها قائمة لمفردات من سلع وبضائع، توصل العلماء إلى اسم المرسل والمرسل إليه، وهو أبو ذكرى كوهين التاجر ووكيل التجار في عدن، وقد وردت فيه عبارة "صهري محروس" مما يؤكد هوية صاحب هذا الخطاب، فقد وجدوا في خطابات كثيرة أرسلها كوهين في الفترة ما بين سنوات ٥٢٧ - ٥٤٣هـ / ١١٣٢ - ١١٤٣م، وردت فيها هذه العبارة، ومن المحتمل أن تكون شخصية المرسل إليه، هي شخصيته "حلفون بن نيثانيل" وهو شريكه في تجارة الهند الكارمية، وكان هذا مقيماً في عدن، وذلك لأن الكاتب يخبره، بأنه أرسل له خطابه مع شخص، ورد اسمه في الخطاب، إلى مضمونه وكيل التجار في تلك المدينة^(٢٠).

ويرد في مجموعة أوراق الهند، ما يشير إلى أهمية هذا الخطاب عن تجارة الكارم ما نصّه: ((... أما الكارم قد وصلني منه كتاب من عند صهري محروس من سواكس^(٢١)، يحكى أنه ٣ آلاف يمول وقد خرج في الكارم من أصحابنا اليهود ٧ محروس (وست أسماء أخرى) لا غير))^(٢٢).

ويقرأ جوايتاين، وثائق، عن خمسة من تجار الهند، الذين ذكروا في الخطاب الآنف الذكر يضاف لهم محروس بن يعقوب، وهم شخصيات معروفة، ورد ذكرها في وثائق أخرى، كانوا يتعاطون تجارة الكارم، ولعل أهم هذه الوثائق، واحدة منها ترجع إلى سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م وأخرى في ١١ سبتمبر ٥٤٤هـ/١١٤٩م، ولهذا فمن المرجح أن الخطاب قد كتب في المدة التي تقع بين هذين التاريخين، وهي المدة التي تزيد عن نصف قرن، وخلال العشرينيات أو الثلاثينيات من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وهو القرن الذي ظهر فيه نشاط محروس به يعقوب التجاري الكارمي^(٢٣).

ويتضح من الخطاب المذكور، الذي وصل من حلفون بن نيثانيل إلى محروس بن يعقوب، يبلغ التاجر ووكيل اليهود وهو شريكه الذي كان في ذلك الوقت في مدينة عدن، ويخبره بحجم البضاعة المحملة مع الكارم إلى ميناء سواكن على البحر الأحمر، وهم في طريق العودة إلى بلادهم (إلى مصر والمغرب) ويمكن الاستنتاج، أن الكارم لم ينزلوا بعدن بل اتجهوا إلى سواكن مباشرة، أما من الهند أو من بعض موانئ الجزيرة العربية مثل "تعز"^(٢٤) أو في شرقي الجزيرة العربية مثل "مرباط"^(٢٥).

وهناك وثيقة مؤرخة في سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م، فيها إشارات إلى سفن كانت تسير مباشرة من مرباط إلى ساحل شرق أفريقية، دون أن ترسو في ميناء عدن، وهو النظام البحري الذي ارتبط بظروف السفر في البحر بصورة عامة في ذلك الوقت^(٢٦) ويخيل إلينا أن هذا الخطاب الذي جاء في هذه الوثيقة، أرسل من عيذاب^(٢٧) أحد موانئ البحر الأحمر (بحر القلزم) الواقع شمال "سواكن" والذي عادة ما يسافر المرء رأساً منه إلى عدن، وأن كاتب الخطاب قد سلم رسائل المرسل إليه في عدن، ومن المحتمل جداً أن تكون المدينة هي القاهرة. ويطلعنا جوايتاين على وثيقة مهمة من وثائق الجنيزة، تشير إلى الكارم بصورة صريحة، وتتضمن تفصيلات على غاية من الأهمية، فهي تتحدث عن شخص سافر من "كولام" (كيلون)^(٢٨) على ساحل جزيرة "ملبار"^(٢٩) الغربي، في طريقه إلى الهند، يبعث إلى زوجته في القاهرة عدداً من الهدايا (من بينها خادمة عمرها ست سنوات، وأساور من اللؤلؤ وملبوسات من "اللّاليس"^(٣٠) وإناء من البرونز) وقد جاء نص الوثيقة واضح المعنى، على الرغم من أنها كانت تالفة بدرجة كبيرة: ((... وأنا إن

شاء الله أنفذهم صحبة من يخرج في الكلام^(٣١).. وفي نهاية الخطاب^(٣٢)، يقول الكاتب، إن أبا سرور كوهين بن الدوانيقي قد حمل له سفرتين للمائدة، وبعض السلع الأخرى التي قال بشأنها ما نصّه: ((إن شاء الله تصل إليك مشحونة في الكارم))^(٣٣).

وهناك ما يشار في الجنيزة للكارم دون الحاق أداة التعريف (أل) بها، فيقال "كارم" مما يؤكد إلى أن أصل الكلمة ليس عربياً، وربما يكون هندياً على أغلب الاحتمال، فقد جاء في خطاب أرسل سنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠م من الاسكندرية إلى عدن أو ربما إلى موانئ المحيط الهندي، نجد كاتبه يجزء كلامه على الشكل الآتي:

١- وما كنا غير.

٢- قعود ننتظرك.

٣- في كارم السنة.

٤- وقد وصل كتابك^(٣٤).

وفي هذا الخطاب نفسه، نقرأ تفصيلات مهمة، عن حقيقة، أن الشخص المرسل إليه، كان يسكن مدينة "صرحا"^(٣٥) وقد أرسل إلى والدته التي كانت تعيش في الاسكندرية، وأن هذه المدينة كانت مرسى منتظماً للكارم إلى المدن والمراكز الأخرى.

وجاء في كتاب الهند^(٣٦) أن التاجر العدني الكارمي الشهير يوسف بن إبراهيم^(٣٧) قد عبر في خطابه المطول الذي كتبه في الأربعينيات من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي عن أسفه من أن المرسل إليه أبي عمران بن نفيح^(٣٨)، قد احتجز مدة طويلة ولقي في أثائها مصاعب كثيرة في ميناء "دهلك"^(٣٩) على البحر الأحمر فقال: ((...فأرجو أن مولانا وجميع الكارم، يكونون أدركوا عيدان إن شاء الله)).

وتشير الجنيزة إلى أن الفاطميين في مصر، أقاموا اسطولاً لتجارة الكارم، وكان يتعرض بين الحين والآخر إلى هجوم القراصنة بزعامة حاكم دهلك، الذي كان هو نفسه قرصاناً خطيراً، وذلك على الرغم مما سخر الفاطميون من حماية لاسطولهم الذي كان يحجب منطقة البحر الأحمر خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي^(٤٠) وفي أحد الخطابات، فيما يتصل بوصول التجار اليهود المسافرين في الكارم إلى عيذاب أرسل من القاهرة في ديسمبر سنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠م ينص: ((وجميع من خرج من اصحابنا في الكارم بآتم السلام)) وقد اتضح في وثائق أخرى أن التاجر الذي أرسل هذا الخطاب

هو أبو ذكرى كوهين وكيل تجار اليهود في عدن كما وصف الكارم في وثيقة يرجع تاريخها إلى بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، عن تاجر يتحدث، لزميل عمل له في مصر، عن السلع والبضائع التي ابتيعت له يقول: ((وصدر في الكارم المبارك)) وعن خطاب مرسل من الساحل الجنوبي الشرقي للهند إلى القاهرة يذكر تاجر لزوجته، أنه ارسل لها بعض التوابل الشرقية والفواكه من بينها سبعة أمان ونصف المن من جوز الهند يصفه بقوله: ((ما في الكارم مثلها))^(٤١).

ويذهب جوايتاين إلى استنتاجات حول نصوص جنيزة القاهرة التي أشارت إلى الكارم أيام الفاطميين في مصر، أن كلمة الكارم أصبحت كلمة منزلية فأية زوجة يكون زوجها مسافراً إلى بلدان المحيط الهندي، كانت تتوقع أن زوجها سوف يرسل لها هدايا "في الكارم" وأن "كلمة كارمي" أو "التاجر الكارمي" كانت شائعة في العصر المملوكي، كما إن الكارمية لم تظهر كجماعة تجارية كبرى، ولكنها ظهرت كقافلة من السفن أو مجموعة من النواخذة أو ملاك السفن الذي يسافر التجار على سفنهم التي كانت تنقل البضائع، وأن سفن النواخذة، لم تكن ملكاً للكارمية. وجاء أيضاً أن سفن الكارم كانت في بعض الأحيان، ترسو في عدن في طريق عودتها من الهند كما كانت تتخطاها وتمر مروراً عابراً بها في أحيان أخرى، ويبدو أن ذلك كان يتوقف على طبيعة المناخ وحالة هيجان البحر أو على الظروف السياسية^(٤٢) بيد أنه من المؤكد، أن هذه السفن تطبق نظاماً محدداً لها، إذ تدخل بمقتضاه سفن الكارم ميناء عدن عاماً ولا تدخله في العام التالي. والظاهر أن سبب التعاقب على الرسو في هذا الميناء بين سنة وأخرى لا يمكن تفسيره، إلا بعدم استيعاب هذا الميناء للسفن التي كانت ترسو فيه، بما لا يتيح للسفن الأخرى الرسو فيه في هذه الفترة.

ويبدو أن تجار الكارم، كانوا مشهورين بسلعهم الرفيعة المستوى، فحينما يصلون إلى ساحل الهند يكتبون إلى أسرهم في القاهرة أنهم ارسلوا لهم: ((بضائع ليس هناك مثلها في الكارم)) ومهما يكن فإن البضائع الشرقية المحمولة، كانت في معظمها سلعاً كمالية غالية الثمن مثل: التوابل، العقاقير، اللالي، النباتات المستخدمة في الصياغة. كما لوحظ أن ما كان يحمل من البضائع المرسلة من الشرق إلى القاهرة، كميات كبيرة على يد الكارم، فقد حمل ٣٠٠٠ بالة في سنة واحدة، وحملت وثيقة من الجنيزة عن بضاعة، من

الشرق إلى مصر ٦٠ بالة من الطلاء، وزن ١٠٠ باهار (تساوي ٣٠.٠٠٠ رطل، لأن البالة (العدل) الواحد تساوي ٥٠٠ رطل)، وكانت قد أرسل هذه التجارة بواسطة شريكين مشهورين، وهما بلال بن جرير الأوحدي^(٤٣) الذي أصبح فيما بعد وزيراً وحاكماً فعلياً لجنوب اليمن، ومضمون وكيل التجار اليهود في عدن، وكان الكارم حتى سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م يحتكرون هذه التجارات، وأن هناك قوافل صغيرة يمتلكها حكام وأفراد وتجار مشاركون يحملون بضائعهم من وإلى الهند، وكان هؤلاء التجار يحملون بضائعهم في السن أو القوافل البرية على مسؤوليتهم الخاصة^(٤٤).

ويمكن القول، أن ما وصل إليه الكارم من المكانة والأولوية في التجارة الدولية في العصرين الأيوبي والمملوكي كان لها جذورها في العصر الفاطمي، فقد وفر لها الحماية والاستمرار، هذا فضلاً عن الاتفاقيات بين هؤلاء التجار والشخصيات القوية لتوفير المزيد من هذه الحماية، ونفهم مما أشار إليه القلقشندي في تقريره الواضح والمفصل أن السلطات الفاطمية واسطولها الراسي في ميناء عيذاب، كان موكلاً بمراقبة تحركات القراصنة وحماية الكارم من اعتداءاتهم^(٤٥) كما جاء في الجنيزة، أن مضموناً، وكيل تجار اليهود في عدن عقد اتفاقات مع "حكام البحار والصحراء" بغية حماية السفن الخاصة به والقوافل الموكلة إليه حمايتها هذا في الوقت الذي كانت فيه القرصنة على اوج قوتها في أعالي البحار، وكانت هناك صيحات عالية بطلب الحماية من الفاطميين^(٤٦) هذا ولم تكن هذه الحماية لدواع سياسية بل كذلك كان وراءها دواع مالية، فقد كان الكارم قادرين على الدفع، فيما كان على صغار التجار، أن يتحملوا تقلبات القرصنة، حيث كانت تشكل آنذاك خطراً فعلياً في البحر الأحمر، وقد توضحت هذه الميزة الإضافية وراء سر سطوة الكارم^(٤٧).

وأخيراً يصح لنا القول أن التكوين الاجتماعي والاقتصادي بجماعة الكارم، ونتيجة للظروف والأحوال التي بسطنا جانباً منها، قد جاء من الأسلوب الهندي في تعاطي التجارة المحلية والدولية، ثم بعد ذلك تشكلت الجماعات التجارية طائفيًا ودينياً خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، فيما أوردته وثائق الخييزة باتصال تجار الشرق الأوسط بوكلاء التجار الهنود^(٤٨).

وأسعفت الدراسات التي أجراها س.د. جوايتان على وثائق جنيزة القاهرة عبر قرنين ونصف القرن من الزمان بأسماء بعض تجار الكارم ومنهم:

١- مضمون بن حسن بن بنوار^(٤٩) الذي شغل وظيفة وكيل تجار اليهود في عدن وصاحب سفينة (ت ٥٤٦هـ / ١١٥١م) وكان والده وكيل التجار هو الآخر في عدن، وهناك مضمون آخر (ابن داود) وربما يكون حفيد مضمون هذا.

٢- إبراهيم بن ينجو^(٥٠) من مدينة المهديّة في المغرب، كان يمتلك مصنعاً للنحاس الأصفر في الهند، وبعد عودته من اليمن الذي قضى فيه عدة سنين، استقر في الفسطاط^(٥١)، ثم هاجر إلى صقلية (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م).

٣- حلفون بن نيتانيل الدميّاطي^(٥٢)، وهو من مصر القديمة، وكان واسع السفر وذو اهتمامات ثقافية عريضة ومركز اجتماعي عالٍ، وله أنشطة تجارية في مصر والهند واليمن والمغرب والأندلس (ت ٥٤١هـ / ١١٤٦م).

٤- أبو ذكري كوهين السجلماسي، وهو من سلجماسة* وكيل تجار الفسطاط، وقام برحلات طويلة إلى الهند (ت ٥٤٣هـ / ١١٤٨م).

٥- عروس بن يوسف بن المهديّة، يمتلك مصبغة بالفسطاط، له نشاط في تجارة الهند، ولكن أكثر تجاراته في البحر المتوسط.

٦- وهناك تاجران عدنيان، وهما ابن عم مضمون، واثنان عشر تاجراً، أشارت إليهم الجنيزة لا توجد لهم خطابات مرسلّة منهم أو أرسلت إليهم^(٥٣).

أما السلع والبضائع التي كان يتعاطاها تجار الكارم، فيمكن أن نذكر بعض النماذج منها: أ. التوابل والعطور، نباتات للصبغة والدهان وأعشاب طبية جاء فيها ٣٦ بند من خلال وثائق الجنيزة.

ب. من السلع الرئيسية، الحديد بستة أشكال.

ت. الأواني النحاسية والبرونزية / جاء فيها ١٢ بند.

ث. الحرائر الهندية بأنواعها وملبوسات مصنوعة من القطن / ٨ مواد.

ج. اللآلئ والخرز والصدفيات والعنبر / ٤ مواد.

ح. المصنوعات الجلدية والأحذية / مادتان.

خ. الخزف الصيني والأواني اليمنية المصنوعة من الحجر والعاج الأفريقي / ٣ مواد.

د. فواكه استوائية مثل جوز الهند / ٥ مواد.

ذ. أخشاب (كمواد أولية للبناء أو النجارة) / مادة واحدة.

ويلاحظ أن هذه السلع التي تأتي بقواتم تحتوي على (٧٧) سلعة مصدرة إلى الغرب^(٥٤) كما ينبغي التنويه إلى أن المجموعة الأولى من هذه القائمة تتفوق على باقي المجموعات، ليس في عددها، فحسب بل في تعدد ورودها وفي قيمتها، وهذا يرجع في حقيقة الأمر إلى أن صناعات العطور والأدوية والصيدلانية والصباغة، كانت صناعات محببة للغاية بين يهود الأقطار الإسلامية. أما أنماط الحديد والصلب فهي مواد غير مصنعة، ولم تكن للسيوف الهندية الذائعة الصيت أي ذكر لها في وثائق الجنيزة، وربما كانوا يفضلون صنع أسلحتهم بأنفسهم أو عدم استيرادها على يد اليهود.

ويلاحظ كذلك ورود تفصيلات زائدة عن تصنيع الأواني النحاسية، حيث كان جنوب غربي الهند مشهوراً بمناجم النحاس وبالصناعة البرونزية والنحاسية أما الملابس، فقد ورد ذكرها مراراً، أرسلت كهدياً أو أرسلها التجار الهنود إلى زوجاتهم أو إلى أصدقائهم أو إلى الشخصيات الدينية في بلادهم أو الملابس الحريرية الغالية، كانت تستحق البحار من أجلها. أما الخزف الصيني والأواني اليمينية الحجرية، كانت لا تظهر على أنها سلع للتجار المنتظم. ولكن من المؤكد أن الخشب، كان من أهم صادرات الهند. ولم ترد أية إشارة في وثائق الجنيزة عن تجارة الرقيق سواء في البحر الأحمر أو البحر المتوسط أو في المياه الأفريقية أو الهندية، بيد أن الإشارات كثيرة حول الرقيق، كخدم في المنازل أو كوكلاء لرجال الأعمال، وأن اليهود لم يزاولوا مهنة تجارة الرقيق^(٥٥).

أما السلع الشرقية التي صدرت من موانئ البحر الأحمر أو من عدن التي وردت في أوراق الجنيزة هي:

أ. أقمشة حريرية وملبوسات وزجاج... ٦٣ بند.

ب. أواني وتحف فضية، ونحاس وزجاج... ٢٣ بند.

ت. سلع منزلية، سجاد، حصر، مناخذ وقدور طهي وغيرها ٧ بند.

ث. كيمايات، أدوية، صابون، ورق، كتب... ١٩ بند.

ج. معادن ومستلزمات لصناعة النحاس... ٧ بند.

ح. مرجان (وهو محصول مهم في تلك الحقبة)... بند واحد.

خ. أطعمة محفوظة، جبن، سكر، زبيب، زيت الزيتون، زيت سراج المصابيح ١٠ بند.
 يلاحظ أن مجموع بنود هذه القائمة (١٠٣) بنداً مما يتيح لنا القول، أن الهند والشرق
 كانوا يصدرون حاصلات زراعية ومواد خام، فيما يستورد الشرق الأوسط المنتجات
 الصناعية والبضائع الاستهلاكية.
 أما التقديرات لأثمان البضائع المشتراة والمصدرة من الهند إلى عدن، فتوضحها
 القائمة الآتية:

((كتاب الهند (الموجود ضمن مجموعة وثائق الجنييزة الخاصة بتجارة الهند) رقم

:٢٦

أ - المرسل من الهند إلى عدن:

فلفل ---- ٤٠٢ دينار مليكي^(٥٦).

تطرح منه المكوس وغيرها ---- ٧٨

الباقى ---- ٣١٥

حديد ---- ٢٤٧

المكوس المخصومة ٢٧

الباقى ---- ٢٢٠

مجموع الموجودات واصله إلى عدن $٢٢٠ + ٣١٥ = ٥٣٥$ دينار مليكياً.

ب - المرسل من عدن إلى الهند:

نحاس ---- ٤٢٣ بالدينار المليكي

حزم إضافي وغيرها ---- ١٢,٧

أدوات منزلية ---- ١٦٧,٣

٢٠ دينار مصري ---- ٤٧

مدفوعات (بالدينار المليكي) ---- ٧

المجموع ---- ٦٥٤,٠ قيمة المواد^(٥٧).

Abstract

The terms of Al-Karem, Traders and Al-Karemiah had emerged since the last quarter of the Hijra Seventh century. The thirteen century. These terms referred to a group of traders form the Indian subcontinent. They formed a large power of money in the era of Mamluk in Egypt and Syria. Egypt was represented the main center of these traders as they were called "Al-Karemiah" They had a base which from it they wen to Mediterranean Sea countries. They had another bases in Yemen and Haghramawt for receiving goods and equipment which called "alKarim" to the north of Africa, India and the middle countries in Asia. They were main centers for trading distribution.

The available references had mentioned those sellers, their lives, their families and their societal connection. They were making strong groups through the societal ties with each other which strengthen by the marriage and relatively connection. It seemed that the Mamluk in Egypt were standing against those rich sellers, so they took their properties and possessions for making them powerless and wear. They destroyed their trading houses by forcing them to pay taxes or seizing their possess ons directly. This was the general behavior in Mamluk policies, even if there was a difference from one Sultan to another.

هوامش البحث

- (١) لم يحسم لليوم معنى كلمة كارم، كما لا تشير كتب العربية إلى وجود مثل هذه الكلمة فيها.
- (٢) المقرئزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) السلوك لمعرفة دول الملوك (تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ج١، ص٧٢ - ٧٣؛ النقود (تحقيق: محمد السيد علي بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، ط٥، النجف، ١٩٦٧)، ص١٦٩.
- (٣) جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق: عطية القوصي، نشر وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠)، ص٢٨٩ - ٢٩٠.
- (٤) N.J fischel"Under die Gruppe der Karimi-Kanfleute"Studia Arabica Rome ١٩٣٧، PP. ٦٧-٨٢.
- (٥) أولها دراسة صبحي ليب، التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصر الوسطى، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٥٢؛ ودراسة جاستون فينيت

(٦) Les Marchands d'epices sous Les sultans Mamlouks. G.wiet Cahiers ahistire Egyptienne,Cairo,١٩٥٥,PP. ٨١-١٤٧.

ودراسة E. آشور: (The Karimi Merchants) الذي نشر في مجلة: جرنال الجمعية الملكية الآسيوية (JRAS).

(٧) فحين نشر فينيت دراسته وصلته دراسة صبحي ليب، وحينما ظهرت دراسة آشور، كان هو الآخر قد أرسلها إلى المجلة.

(٨) دائرة المعارف الإسلامية (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٣٩) مادة "كارم".

(٩) (Islam studien, ١,Leipzig,١٩٢٤, PP.٢١٤-٨٦٦) وأكدت هذه الدراسة على رسم الكلمة

"كارم" (Karimi) أما إصطلاح "كارم" فهي كلمة هندية تنطق "كارم" (Karame)

(١٠) استخدمت كلمة "جنيزة" للتعبير عن حجرة اتخذت كمخزن يلحق بالمعبد اليهودي، تخزن فيه الأوراق المدون عليها بالخط العبري، يسطر فيها اسم الله، يجب أن لا تقطع أو تُبدد، ولم تكتشف لحد الآن سوى جنيزة كنيس الفسطاط (مصر القديمة) والجنيزة القرية من جبانة البساتين بالقرب من القاهرة، وقد عرفت هاتان الجنيزتان باسم "جنيزة القاهرة" (س.د. جواتيان، دراسات في التاريخ الإسلام والنظم الإسلامية (تعريب وتحقيق: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٠)، ص ١٨٩.

(١١) النوخذا، كلمة فارسية تعني "سيد السفينة" وهي ذات نفس الأصل في الاسطول الانكليزي، وتعني مالك السفينة أو مديرها وليس قائدها الذي كان يطلق عليه لقب "رئيس" وهو يدير دفتها (س.د. جواتيان، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ص ٢٧٦ هامش رقم (٢).

(١٢) مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ردئة لا ماء بها ولا مرعى وشربهم من عين بينها وبين عدن نحو اليوم، إلا أن هذا الموضع هو مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون إليه لأجل ذلك فإنها بلدة تجارة وتضاف إلى ابين وهو خلاف عدن من جملته (ياقوت الشهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم البلدان (دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا.ت)، ج ٦، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

- (١٣) كانت أمه هناك، وكان يلقب بالعدني، وقد ولد هناك، وكان له مركبة خاصة به (ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦)، ص ١٨٥.
- (١٤) وتشير المعلومات الواردة عنه أن أنه وقع مرة بيد القراصنة في إحدى رحلاته وقد اعتقلوه وتساموه على أموال طلبوها منه ولكنه نجى منهم بأعجوبة (E.Ashtor, The Karimi merchants,JARS, April, ١٩٤٦, PP. ٤٥-٤٦).
- (١٥) وهذه المدينة بأفريقية منسوبة إلى المهدي وبينها وبين القيروان مرحلتان، القيروان في جنوبها وتنسب إليها وشباب السوسيه المهدوية، وقد اختطها المهدي عبيد الله الفاطمي (ياقوت، معجم البلدان، ج ٨، ص ٣٤٤ - ٣٦٤.
- (١٦) س.د. جوايتان، اوراق من جنيزة القاهرة، جامعة لندن، رقم ٣٣٠١.
- (١٧) المن: هو وحدة من وحدات المكايل، وهن تزن رطلين من أرطال بغداد الذي كان الواحد منها يزن ١٣٠ غرام (وهو الكريستال المستخرج من الغاب الهندي).
- (١٨) س.د. جوايتان، اوراق من جنيزة القاهرة، جامعة لندن، رقم ٥٢٠٢.
- (١٩) الخارطة رقم (١) في نهاية البحث.
- (٢٠) والظاهر أن هذه الاشارات، معتاد عليها في مراسلات العصور الوسطى، والهدف منها هو أن تمكن الشخص الذي ارسلت إليه الرسالة، من تتبع وصولها إليه مع وصول السفينة أو القافلة التجارية، لأن المرسل إليه كان يتوقع أن يذهب إلى الشرق، لذلك لم يسلم إليه البريد وإنما سلمه إلى وكيل تجار عدن.
- (٢١) بلد مشهور على ساحل بحر الجار قرب عيذاب، ترفأ إليها سفن الذين يقدمون من جدة باتجاه سود نصارى (ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٨٩.
- (٢٢) عدد ٢٢١ مجموعة الهند، المتحف البريطاني، الملف ٥٥٤٩، ج ٣، الورقة ٥).
- (٢٣) دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ص ٢٨٣.
- (٢٤) قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٤٦).
- (٢٥) مرفأ على بحر فارس ترسو فيه مراكب التجار شرق الجزيرة (ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٠٩).
- (٢٦) الخارطة رقم (١) (ملاحظة سير المراكب حول الجنوب الشرقي للجزيرة العربية).

(٢٧) بليدة على ضفة بحر القلزم، هي مرسى المراكب التي تقدم من عدم إلى الصعيد (ياقوت، معجم البلدان، ج٦، ص٣٦٥).

(٢٨) ويلفظها ياقوت: "الكولة" ويقول أنها: "حسن من نواحي ذمار باليمن" أو يقول أنها "كومل" وهي "من حصون اليمن" معجم البلدان، ج٧، ص١٦٣ - ١٦٤.

(٢٩) أو يلفظها ياقوت: "مليار" إقليم كبير عظيم يشتمل على مدن كثيرة منها فاكطور ومنجور ودهسل يجلب منها الفلفل إلى جميع الدنيا وهي في وسط بلاد الهند (معجم البلدان، ج٨، ص٣١٨).

(٣٠) وهو شاش هندي (موسلين) يسمى "لانيس":

R.B.Serjeant, Material for a History of Islamic textiles, ١٩٥١ P.٨١ and notes ٢١ and ٢٢.

(٣١) No. ٢١٤ of the India Book Ms. University Library Cambridge, ts, new Series J٢٣.

(٣٢) كان من الصعب التحقق منها نظراً للتلف الشديد الموجود في الخطاب.

(٣٣) وتأني كلمة مشحونة غير واضحة بسبب التلف، ذلك أن السلع المشار إليها، كانت تكون جزءاً من الحمولة العامة، وأنها لم تشحن تحت إشراف المسافرين.

(٣٤) India Book, No. ٢١٥ University Library, Cambridge, Ts Box ٢٨, FOL. ٣٣, P. ١

(٣٥) ويلفظها ياقوت: "سرحا" بخلاف باليمن وهو أحد مراسي البحر هناك (معجم البلدان، ج٥، ص٣٧).

(٣٦) No. ٢٢٧. Ms. Jewish Theological Seminary of New York, E.N. Adler Collection Geniza Mise, ٤ verso, ١١, P. ١١-١٣.

(٣٧) ترجمته في: مغلطي، علاء الدين أبو عبد الله بن قليج بن عبد الله البكرجي المصري (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م) إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، السعودية، ٢٠٠١، ج٣، ص٣٤٠.

(٣٨) ترجمته في: "القلقشندي" أبو العباس أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الانشا، القاهرة، ١٩٦٣، ج٢، ص١٢١.

(٣٩) جزيرة في بحر اليمن، وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٢٩).

- (٤٠) جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ص ٢٨٥.
- (٤١) India Book No. ٢٩٩ University Library Cambridge, Ts Ns, J٨٢.
- (٤٢) وذكر جواتياين "حصار عدن" في بحثه:
- S.D. Goitein, T.Eyewitness Reports on an Expedition of the King of Kish (qais) against Aden, BSOAS London ١٩٥٤, XVI-٢.
- (٤٣) ترجمته في: المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص ٢١٩ وقال: أن الكارمية جاءوا إلى مصر سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م وأنهم دفعوا مكوساً عن سنوات عديدة قادمة.
- (٤٤) India Book No. ٢٤٤ University Library Cambridge, Ts Ns, J٣٠٥.
- (٤٥) صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج ٣، ص ٥٢٤، ج ٢، ص ٦، ويبدو أن القلقشندي قد استقى معلوماته من مصادر كانت في حوزته، معاصرة للفاطميين.
- (٤٦) CL. Cahen, Notes Pour L'Histoire de la Himaya, Melanges, Louis Massignon, Institut Francais du Damas, ١٩٥٠. PP. ٢٨٧-٣٠٣
- (٤٧) جويتان، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ٢٨٩.
- (٤٨) A. Appadorai, Economic condition in southern India (١٥٠٠ - ١٠٠٠ A.D.)
- (٤٩) دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ص ٢٦٠ - ٢٦١.
- (٥٠) دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ص ٢٦٠ - ٢٦١.
- (٥١) دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ص ٢٦٠ - ٢٦١.
- (٥٢) دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ص ٢٦٠ - ٢٦١.
- ★ مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان، وأهلها من أغنى الناس وأكثرهم مالاً، لأنها على طريق من يريد غانة التي هي مصرف الذهب (ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٥).
- (٥٣) دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ص ٢٦٠ - ٢٦١.
- (٥٤) ٦ أشكال + ١٢ بند + ٨ مواد + ٤ مواد + ٢ مادة + ٣ مواد + ١ مادة = ٧٧ وأفاد جواتياين، أن هذه القائمة استخرجت من ١٥٠ وثيقة خاصة بتجارة الهند. (دراسات في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ص ٢٦٣) وقال أن وثائق جنيزة القاهرة هي الوحيدة بين الوثائق والمصادر التي تحتوي على مثل هذه المعلومات الخاصة ببضائع التجار الكارميين بين الشرق والغرب.
- (٥٥) Slave and slavegirls in the Cairo Geniza Records Arabica, ١٩٦٢, PP. ١-٢٠
- (٥٦) وهو دينار اليمن أما الدينار المصري الواحد فيساوي ٢,٣٥ ديناراً ملىكياً.

(٥٧) وكان تجار الكارم يفضلون أن يرسلوا، بضائع بدلاً من الذهب، ففي الفترة ما بين ١١٣٧هـ/١١٤٠م - ١١٤٠هـ/١١٣٧م كان الحرير يجلب من أقصى المغرب (الأندلس) على أنه سلعة للدفع بدلاً من الذهب

R.S. Lopez, The Cambridge History of Economics, P. ٣٠٩.

قائمة المصادر والمراجع

أ. المصادر العربية والمراجع العربية.

- س. د. جوايتاين
- ١- دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية (تعريب وتحقيق عطية القوصي، نشر وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠).
- المقرئزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
- ٢- السلوك لمعرفة دول الملوك (تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧).
- صبحي لبيب
- ٣- التجارة الكارمية وتجارة مصرفي العصور الوسطى (مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٥٢).
- أشتور
- ٤- حول تجارة الكارم في البحر الأحمر (مجلة جورنال، الجمعية الملكية الآسيوية JRAS)
- ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
- ٥- معجم البلدان (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٨).
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م).
- ٦- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦).
- مجموعة الهند
- ٧- العدد ٢٢١ (المتحف البريطاني، الملف ٥٥٤٩، ج ٣، الورقة ٥).
- مغالطاي، علاء الدين أبو عبد الله بن قليج بن عبد الله البكرجي المصري (ت ٧٦٢هـ/١٣٦٠م).
- ٨- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال (السعودية، ٢٠٠١).

• القلقشندي، أبو العباس أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م).

٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشا (القاهرة، ١٩٦٣).

ب - المراجع الأجنبية:

١- N.J. Fischel ((Under die Gruppe der Karimi-Kanfleute)) studia Arabia
١,Rome, ١٩٣٧, PP. ٧٨-٨٢.

٢- Les Marchants depices sousles sultans Mumlouks, G.wiet Cahiers a
histice Egyptienne, Cairo, ١٩٥٥, PP.٨١-١٤٧.

مع دراسة آشور (The Karimi Merchants)

٣- O.spies Ibn Fadlaallah al Omaries Bericht Under India, Leipzig, ١٩٤٣, P.
٦٢.

٤- E.Ashtor, The Karmi merchants, JRAS April, ١٩٤٦, P.p. ٤٥-٤٦

٥- R.B. S.erjeant, Material for a History of Cambridge, P. ٨١ and nots ٢١
ans ٢٢.

٦- No. ٢١٤ of the india Book. MS. University Library Combrige,ts new
series J, ٢٣.

٧- No. ٢١٥, India Book Univerity Library Combridge, Ts, Box, ٢٨, Fol. ٣٣,
P.١.

٨- No. ٢٢٧, Ms. Jewish Theological Seminary of new York E.N. Adler
collection Geniza Mise.٤ Veros, ١١, P. ١١-١٣.

٩- No. ٢٢٩, The Book India University Library Combridge, Ts-ns.

١٠- S.D. Goitiein, T. Eyewitenss Reports on an Expedition The King of
Kish (qais) against Aden, BSO-AS London, ١٩٥٤, Xvi-٢.

١١- No.٢٤٤. India Book University Library Combridge, Ts Ns. J٣٠٥.

١٢- CL. Cahen, Notes Poun L,Histore de La himaya louis Messignon,
Institut Francais du Damas, ١٩٥٠ P.P. ٢٨٧-٣٠٣.

١٣- A. Appadorai, Economic condition in southern India (١٠٠٠-١٥٠٠A.D.)

١٤- Slave and Slavegirls in the Cario Geniza Records Arabica, ١٩٦٢, P.P. ١-
٢٠.

١٥- R.S. Lopez The Combridge History of Economies ١١. P.٣٠٩.